الرياض

أصوات

سميح القاسم.. وعرب الدشاديش!

محمد رضا نصر الله

**قبل شهور حيث كانت انتفاضة الأقصى في ذروة اشتعالها، كنت أحضر مناسبة "خليجية" لتكريم محمد الدرة، ذلك الطفل الفلسطيني البريء، الذي اغتالته رصاصات الجيش الإسرائيلي بدم بارد، وهو يحاول الاحتماء بصدر ابيه الجريح.

كان ذلك المشهد مؤثراً.. بل إنه لعب دوراً محركاً، عندما تناقلته شاشات العالم الفضائية، في استقطاب تفهم عالمي واسع الانتشار لواقع القضية الفلسطينية.. أما في العالم العربي فقد بعث ذلك المشهد العدواني السافر على أطفال فلسطين، موجة هادرة من الغضب الشعبي والدعم الاقتصادي.. وأذكر أن إحدى شخصياتنا العامة، كانت من أوائل المبادرين لرعاية أسرة الطفل الفلسطيني، بإعلانها الاستعداد لمعالجة الأب في المستشفى الذي يختاره، بينما أرسلت تبرعاً عاجلاً لوالده جمال الدرة بمبلغ 100ألف دولار.. جاء هذا الموقف الإنساني لتلك الشخصية المهتمة بقضايا الأطفال المعوّقين، في سياق حماس سعودي معهود لدعم أطفال الانتفاضة الفلسطينية وشبابها المناضل، حتى بلغت تبرعات المواطنين المادية 240مليون ريال.. هذا فضلاً عن المساعدات العينية، التي ماتزال جميعها تتوالى من هذه الأرض، إحساساً بواجبها العربي والإسلامي دون منّ ولا أذى.

**أريد بهذا أن أقول للشاعر الفلسطيني سميح القاسم، إن أصحاب "الدشاديش" وهو هنا يقصد المملكة ودول الخليج، لم يتشدقوا أمام الكاميرات بمساعدة الفلسطينيين، بينما الشعب الفلسطيني يجوع ويمرض ولا يصله غير الوعود حسب زعمه، في ندوة نادي الصحافة العربية بباريس، المنعقدة قبل مؤتمر وزير المالية السعودي بأيام، وإنما وقفوا باستمرار موقفاً داعماً غير محدود، على الصعيد الحكومي والشعبي.. غير أن بعض الأوساط الفلسطينية مع الأسف تحاول تغييب هذا الدور!!

وهنا أعود إلى موضوع محمد الدرة، الذي كانت أمه ترافقنا على متن طائرة خاصة إلى الجزائر، لحضور تكريم شعري باسم ابنها الشهيد.. فمنذ دخلت علينا الطائرة في مطار دمشق، وهي تجد العناية والمودة والتكريم من كل من كان فيها من سعوديين وخليجيين، وإذ توثقت الألفة بيننا وبينها، ونحن نطوي المشوار الطويل إلى الجزائر مروراً بالقاهرة، راح بعضنا يسائلها عن حجم الدعم المعنوي والمساندة المادية لها ولزوجها، وحينما أتينا على تبرع تلك الشخصية السعودية العامة أنكرت وصول ذلك التبرع، مما جعلها تطلب مني في نهاية رحلة العودة، الاستفسار من تلك الشخصية.. وبالفعل فما أن

حطت رحالنا في الرياض، وقبل أن أخلع ملابس السفر، هاتفتها، ناقلاً استفسار أم محمد الدرة حول ما قرأت في الصحف مؤكدين لها الدعم.. الذي لم يصل إليها ولا إلى زوجها؟!

بعد المكالمة وجدت تلك الشخصية منفعلة، وهي المعروفة بالهدوء واللباقة واللطف.. وكأنني قد فجّرت بهذا السؤال مكنوناً داخل الصدر، حيث كان عاتباً على جهات فلسطينية إلى حدود الغضب، لأنه لم يُمكَّن من نقل جمال الدرة إلى أي مستشفى عالمي يختاره، ليكون علاجه على نفقته الخاصة.. أما عن المبلغ الذي أُعلن عن تبرعه، فقد طلب مني الاتصال الفوري مباشرة بجمال الدرة، لأن في حوزته ما يؤكد وصول التبرع إليه في حينه.. وهكذا كان فقد جاءت مكالمة عمّان تؤكد وصول التبرع.

إذن.. من الذي حاول إخفاء هذا التبرع الشخصي من المملكة عن عائلة محمد الدرة؟!

**هذا السؤال ستجده يتضخم ويكبر، ليواجه آخرين من مثقفين وإعلاميين فلسطينيين، يحاولون التشكيك بدور دعمنا الرسمي والشعبي.. لذلك جاء بيان الدكتور إبراهيم العساف وزير المالية السعودي الثلاثاء الماضي في وقته، وهو يعلن عن المساعدات الحكومية والشعبية السعودية للفلسطينيين المقدرة ب 8.9مليارات ريال منذ مؤتمر مدريد حتى اليوم، منها مبلغ 130مليون دولار حولت إلى موارد صندوقي الأقصى وانتفاضة القدس، وتوزيع 124مليون ريال على عوائل الشهداء والجرحى في فلسطين.

ولا أعلم هنا بأي منطق يتحدث منتقدو الدور السعودي، من ثوار الفنادق ومثقفي الشعارات، في حين أن إنشاء صندوق انتفاضة القدس بموارد قدرها 200مليون دولار.. حصة المملكة منها الربع.. ويهدف للانفاق على عوائل وأسر شهداء الانتفاضة ولتعليم ابنائهم وتأهيل الجرحى والمصابين.. وكذلك صندوق الأقصى بموارد قدرها 800مليون دولار.. حصة المملكة منها الربع أيضاً، تخصص لتمويل مشاريع تحافظ على الهوية العربية والإسلامية للقدس، ولتمكين الاقتصاد الفلسطيني وفك الارتباط بالاقتصاد الإسرائيلي.. نعم إن إنشاء هذين الصندوقين ما كان له أن يبرز إلى حيز الوجود، لولا اقتراح سمو الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ولي العهد، نائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني، الذي رأس وفد المملكة إلى قمة الأقصى الطارئة بالقاهرة في اكتوبر الماضي.. لقد خرجت وقتذاك تعليقات منصفة من رحم المعاناة الفلسطينية، على لسان الناشطة المرموقة الدكتورة حنان عشراوي، تشيد بالموقف السعودي، معتبرة كلمة الأمير عبدالله بن عبدالعزيز في القمة، هي ورقة العمل العربية الوحيدة، التي ساندت بصدق شجاع الفلسطينيين سياسياً، ودعمتهم مادياً، بعيداً عن مواقف المزايدة الاستعراضية، الهادفة إلى تسكين الجراح الفلسطينية، وإلهاء الشعوب العربية، بالكلمات الطنانة والمواقف التلفازية!

..هذا هو موقف عرب الدشاديش.. أيها الشاعر الفلسطيني، الذي بدأ حياته جندياً في الجيش الإسرائيلي، ومازال عضواً في حزب راكاح الشيوعي!! الحزب الذي استمد مشروعيته الثورية! من العمل على إقامة دولة إسرائيل الصهيونية، فوق أرض فلسطين العربية!!